مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies) / ج. وهران02
المجلد 11 ع 01، 16 /01/ 2022
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

المهاجر الإفريقي غير الشرعي في الجزائر بين الهوية والمثاقفة
-حي توزوز بمدينة غرداية نموذجا-

Illegal African immigrant in Algeria between identity and cultured neighborhood Tuzouz in Ghardaia city

شاشي قويدر* Chachi Kouider belfedal03@gmail.com	انثروبولوجيا	مركز البحث في الانثربولوجيا الثقافية الاجتماعية CRASC . كلية العلوم الاجتماعية جامعة وهران2/ الجزائر
أد. خواجة عبد العزيز Abdelaziz Khaouadja khou72@gmail.com	علم الاجتماع	كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية. جامعة غرداية/ الجزائر

DOI: 10.46315/1714-011-001-013

الإرسال: 03/ 07/ 2020 **القبول:** 08/ 11/ 2020 **النشر:** 16/ 01/ 2022.

الملخص: للحياة الثقافية التي يعيشها المهاجر في بلد الهجرة علاقة بالاندماج والتكيف في المجتمع الجديد، وقد حاولنا في دراستنا هذه الإلمام قدر المستطاع بأهم الجوانب التي تؤثر في الحياة الثقافية للمهاجر الإفريقي في الجزائر، خاصة في مدينة غرداية، حيث تعرضنا إلى أهم استراتيجيات المحافظة على الهوية ومحاولة المثاقفة والاندماج، فاستعرضنا بعض الأبعاد التي تمس جوانب من حياة المهاجر الإفريقي الثقافية كاللغة والعمل والسكن والتواصل، ومدى تأثيرها على اندماجه وتكيفه مع الوضع الجديد، كما سلطنا الضوء على أهم السمات والخصائص الثقافية التي تميز المهاجر الإفريقي ومقارنتها انثروبولوجيا بالواقع في الجزائر .

الكلمات المفتاحية: الهجرة؛ الهوية؛ المثاقفة؛ مهاجرو الساحل؛ الحياة الثقافية.

Summary:

The cultural life of the immigrant in the country of immigration is related to integration and adaptation in the new society, and we have tried in this study to be as familiar as possible with the most important aspects that affect the cultural life of the African immigrant in Algeria, especially in the city of Ghardaia, where we were exposed to the most important strategies to preserve identity and try to educate And integration, we reviewed some dimensions that touch aspects of the African immigrant's cultural life, such as language, work, housing, communication ... etc, and the extent of their impact on its integration and adaptation to the new situation, as we highlighted the most important cultural features and characteristics that distinguish the African migrant and compare anthropology to reality in Algeria .

Keywords: Immigration ; Identit ; Intellectuals ; Coast migrants ; Culture life.

* - الباحث المُرسل: belfedal03@gmail.com

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

*- مقدمة

تعد الحياة الثقافية للإنسان من أبرز السمات التي تعبر عن إنتاجه وإبداعه المادي والمعنوي وهي تعبر عن مدى تطوره وتحضره واختلافه عن غيره من بني جنسه. وترتبط الثقافة بالمجتمع على شكل تفاعلات، وعملية تبادل بين الثقافة والمجتمع. والهجرة من العوامل المهمة للانتشار الثقافي، وعامل مهم للشعوب للتعرف على خصوصياتهم الثقافية والاجتماعية، يقول **فرانز بواز Franz Boaz** "بأن الثقافة تضم كل مظاهر العادات الاجتماعية في جماعة ما، وكل ردود أفعال الفرد والمتأثرة بعادات المجموعة التي يعيش فيها وكل المنتجات والأنشطة الإنسانية التي تتجدد بتلك العادات(Gérald, G, 1997, P60) .

فالمهاجر يحمل معه ثقافة من بلده الأصلي إلى البلد المستقبل، أو بالأحرى منظومة ثقافية متكاملة، متكونة من لغة ورموز وأساطير وأمثال واستعارات وحكايات شعبية، مما يجعل البلد المضيف عرضة للتغيير والتبادل الثقافي حيث تتأثر البنى الاجتماعية في هذه المجتمعات، فتصبح مكانا للاختلاف الثقافي بين المجتمعات الحاضنة وثقافات يحملها مهاجرون غرباء.

تعتبر الجزائر في الآونة الأخيرة قبلة للمهاجرين الأفارقة بمختلف الجنسيات، خاصة من دول الساحل جنوب الصحراء، والذين يدخلون عبر مسارات معروفة في الصحراء الجزائرية، فتمتد هذه الهجرات آلاف الكيلومترات عابرة للصحراء الكبرى، متخذة من البلدان المغاربية محطات عبور للوصول إلى هدفها الرئيسي وهو أوروبا. إلا أن أغلب المهاجرين يقصدون المدن الجزائرية في الصحراء بالتحديد بهدف الاستقرار، فبعد أن كانت هذه المدن الجزائرية فضاء عبور إلى مدن الشمال ثم إلى أوروبا، أصبحت فضاء استقرار للمهاجرين الأفارقة طلبا للعمل والعيش ولتحقيق فرص الترقية الاجتماعية.

ومن المدن الصحراوية الجزائرية التي تستقبل أفواجا كبيرة من المهاجرين الأفارقة من مختلف الجنسيات، مدينة غرداية التي تبعد عن العاصمة الجزائر بـ 600 كلم، وهي بحكم موقعها الذي يعد همزة وصل بين شمال الجزائر وجنوبها وتشكل بوابة لمسار المهاجرين ضمن خريطة الهجرة، هذه المدينة التي تحولت في السنوات الأخيرة إلى نقطة استقرار لمئات الأفارقة من مختلف الجنسيات حيث يقدر الهلال الأحمر الجزائري عددهم بين 1000 و1500 من مواطني الساحل جنوب الصحراء، وتتغير هذه الأعداد من حين لآخر نظرا للحركة ذهابا وإيابا.

ومن خلال رصد تحركات هؤلاء المهاجرين ومعيشتهم وأنشطتهم، وحتى البنى التي ينسجونها في حياتهم الاجتماعية والثقافية، وخاصة هذه الأخيرة، كما تعد حياتهم الثقافية من الطابوهات التي

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

لم تدرس كثيرا في الأعمال السابقة، ولم تعالج من خلال التطرق خاصة إلى الهوية من جهة والمثاقفة من جهة أخرى، في ظل التغيرات التكنولوجية والثقافية والتحولات الجغرافية والاجتماعية الجديدة، فما مدى استطاعة المهاجر الإفريقي التكيف والعيش في ثقافة مغايرة لثقافته؟ وإلى أي مدى تمكن من النجاح في عملية المثاقفة في مدينة غرداية؟

وما مدى قدرته على ممارسة ثقافته وتكييفها مع الثقافة المحلية في مدينة غرداية؟

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على طبيعة العلاقة بين العامل الثقافي، ودوره في عملية تكيف المهاجرين الأفارقة واندماجهم في المجتمع من خلال العيش والسكن والعمل في البلد المضيف، لذلك سنحاول الكشف عن ثقافة المهاجر الإفريقي وهويته ومدى تأثرها بالثقافة الجديدة للبلد المضيف الجزائر.

ومن الدراسات التي ركزت على مسارات الهجرة الإفريقية عبر الصحراء، نجد دراسة الباحث: **خليفة عبد القادر (خليفة، ع، 2015)**. والتي أبرز فيها أهم المسارات التي يسلكها المهاجر الإفريقي للوصول إلى مدينة ورقلة جنوب الجزائر، إضافة إلى دور العوامل الاجتماعية والاقتصادية في قرار الهجرة، وتحديد أهم ميكانيزمات العيش والعمل والسكن في هذه المدينة. كما جاءت دراسة الباحث: **Hagan Ampson(Ampson,H,2017, P12)** لتبين لنا المعاناة التي يعيشها المهاجر الإفريقي في مدن الصحراء للوصول إلى أوروبا، منها العنصرية بسبب لون البشرة والذي يؤدي إلى عدم توظيفهم، أو عدم إعطائهم أجورهم بعد عملهم، وطردهم بعيدا عن السكان المحليين، فهم يعيشون على أطراف المدينة في بيوت قصديرية أو تحت الجسور والأودية القريبة من المدن، كما أنهم يعملون أحيانا في وظائف خطيرة دون تأمين ما قد يؤدي بحياتهم.

اعتمدت المدخل الأنثروبولوجي لمقاربة هذا البحث ومعالجة الظاهرة من منظور إنساني ثقافي، أما من حيث المنهج فقد تم التركيز على وصف وتحليل وجهات النظر الخاصة بالمهاجرين الأفارقة المبحوثين والمقدر عددهم بحوالي (12) حالة من خلال رصد واقعهم وتحليل خطاباتهم عن طريق مقابلات أجريت معهم، وقصد التعرف على علاقاتهم مع المجتمع المحلي وحياتهم اليومية، كما أجرينا مقابلات مفتوحة مع بعض السكان المحليين المحتكين بهؤلاء المهاجرين سواء كانوا أرباب عمل أو جيران لهم، لمعرفة بعض جوانب التفاعل الثقافي والاجتماعي مع المهاجرين الأفارقة.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

مفاهيم الدراسة:

المهاجر غير الشرعي:

يعرفه المكتب الدولي للعمل BIT بأنه " كل شخص يدخل أو يقيم أو يعمل خارج وطنه دون حيازة الترخيصات القانونية اللازمة، لذلك يعتبر مهاجرا غير شرعي أو سري أو بدون وثائق "(BIT, 2004,P15) .

أما القانون الجزائري في الأمر رقم 211/66 المؤرخ في 21 جويلية 1966 فيعرف المهاجر الغير الشرعي بأنه " الشخص الأجنبي الذي يدخل إلى التراب الوطني بطريقة سرية أو بوثائق مزورة بنية الاستقرار أو العمل".

فالمهاجر الغير الشرعي هو ذلك الشخص الذي يتسلل إلى دولة أخرى بطريقة سرية مخالفة للقانون باستعمال أساليب عديدة غير شرعية للانتقال من أجل العمل أو العبور إلى دولة أخرى.

ورغم عدم شرعية وجودهم في الجزائر فإن الدولة الجزائرية تضمن من خلال الإجراءات والقوانين المعمول بها حقوقا لهؤلاء المهاجرين الغير الشرعيين منها حق التنقل في الإقليم الجزائري، الحق في العمل، الحق في الحياة، الحق في المعتقد والدين، الحق في محاكمة عادلة والحق في التعويض عن الضرر في العمل. كل هذه الحقوق وغيرها مضمونة لكن في إطار احترام القانون الجزائري، إلا أن المهاجرين يمتنعون عن المطالبة بحقوقهم خوفا من ترحيلهم لأنهم في وضعية غير قانونية، وفي هذا الصدد تغض الجهات الأمنية الطرف عن هؤلاء في اغلب الأحيان، نظرا إلى الظروف التي صاحبت هجرتهم إلى الجزائر والأوضاع التي تتخبط فيها بلدانهم خاصة مالي والنيجر، والرأي العام العالمي الذي يحمل الجزائر في كثير من الأحيان سوء معاملة المهاجرين، كل ذلك جعل من الجزائر تعيد النظر في معاملة المهاجرين الغير شرعيين ومحاولة إدماجهم بطريقة أو بأخرى.

الهوية:

انطلاقا من تعريف **جوتلوب فريج Gottlob Frege** الذي يقول فيه: " إن مفهوم الهوية غير قابل للتعريف، لأن كل تعريف بحد ذاته هوية، لذلك لا يمكن تعريف الهوية" (وطفة، ع أ ،2010،ص 45)، نجد أن الهوية مفهوم معقد وغامض ومركب، ويحتمل عدة معان وتفسيرات من حيث أنه مفهوم عابر للتخصصات والنظريات، فهوية الفرد هي منظومة كاملة من المعطيات المادية والاجتماعية والمعنوية والنفسية التي تنطوي على الإحساس بالهوية والشعور بها كقوة داخلية متناغمة تتمثل في الشعور بالاستمرارية والديمومة والكلية والتمايز (Mucchielli, A, 1986, P 40).

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

تتداخل كلمة الهوية في علم الاجتماع مع عدة مفاهيم مثل (الانتماء والقومية والمواطنة والذاتية و...الخ) التي تساعد في معرفة المعنى جليا أحيانا أو تعقيده في أحيان أخرى، وذلك بسبب مجالات الاستخدام، فكل من الانثروبولوجيا والسوسيولوجيا، وعلم النفس والسياسة والاقتصاد، وكذا التخصصات الأخرى كالأدب، لها مدخلات لموضوع الهوية تحاول فهمها به، وهذا ما زاد المفهوم غموضا وتعقيدا. فالهوية هي التفرد والتميز، حيث يعرفها معجم المصطلحات الاجتماعية بأنها:"عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره أو تحديد بطاقة الهوية الشخصية، ومن السمات التي تميز الأفراد عن بعضهم (الاسم، الجنسية، والسن والحالة العائلية والمهنة)" (بدوي،أ،1982، ص 206) هذا التعريف يعبر عن كينونة الفرد وشخصيته، وبالتالي لا يعطي معنى الهوية المتمثل في صفات الفرد الثابتة نسبيا والمتغيرة أحيانا.

نستطيع أن نقول إن الهوية هي " **الشعور والإحساس بالانتماء إلى جماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية، بما لها من قيم أخلاقية وجمالية تميزها، ويتضمن ذلك أيضا الأسلوب الذي يستوعب تاريخ الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأسلوب حياتها، كما أنها هي النواة الحية للشخصية الفردية والجماعية والعامل الذي يحدد السلوك ونوع القرارات.**

المثاقفة:

يعد مصطلح المثاقفة من المصطلحات الأنثروبولوجية بامتياز، حيث ظهر في حقل الانثروبولوجيا في مطلع أربعينيات ونهاية ثلاثينيات القرن العشرين، عندما قامت لجنة بحث تابعة لمجلس البحث في العلوم الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1938 بإصدار مذكرة لدراسة المثاقفة على أنها: "مجموع الظواهر الناتجة عن احتكاك مستمر ومباشر بين مجموعات أفراد تنتمي إلى ثقافات مختلفة، تؤدي إلى تغيرات في الأنماط الأولية للجماعة أو الجماعات "(دورني، ك، 2002،ص66)، وتعرف المثاقفة على "أنها تأثر الثقافات بعضها ببعض، نتيجة الاتصال بين الشعوب والمجتمعات مهما كانت طبيعة هذا الاتصال وأهدافه"(بدوي، أ، ص 253). فالمثاقفة هي عملية التطور الثقافي الذي يطرأ على مجتمعات معينة أو أفراد، متأثرين بتدخل مجتمعات أو جماعات أو شعوب تنتمي إلى ثقافات أخرى في اتصال واحتكاك وتفاعل، ينتج عنها حدوث تغيرات في الأنماط الثقافية الأصلية. وهي تعبر عن أوجه التبادل الثقافي بين المجتمعات، مهما كانت طبيعة هذا التفاعل الموجودة بين هذه الثقافات وأهدافه، كما أن الاتصال تطور كثيرا وبالتالي تعدد أنماط التفاعل والاحتكاك عن بعد أو عن قرب مما يؤدي إلى التأثير في عملية المثاقفة.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

من خلال ما سبق نستطيع القول إن المثاقفة هي **الاحتكاك والتفاعل المتبادل بين ثقافتين مختلفتين، سواء كانت نابعة من فردين أو جماعتين، والذي يؤدي إلى التأثير والتأثر بسمات الثقافات المتفاعلة والمحتكة، لإفراز ثقافة جديدة تحمل خصائص مشتركة بين الثقافات المتثاقفة، دون المساس بهوية كلتا الثقافتين المتفاعلتين، وعلى أساس الاحترام والاعتراف المتبادل بالخصوصيات، والتعايش والتسامح والتواصل في التفاعل بين الثقافات.**

مهاجرو الساحل جنوب الصحراء:

هم المهاجرون القادمون من دول إفريقيا جنوب الصحراء، والتي تضم تسع دول تقريبا تمتد من الحدود السودانية شرقا إلى ضفاف الأطلسي غربا، وهي مالي والنيجر وتشاد وبوركينافاسو وموريتانيا والسنغال والكامرون وإفريقيا الوسطى ونيجيريا، معظم هذه الدول حبيسة باستثناء موريتانيا والسنغال المطلتين على المحيط الأطلسي، كما تعد هذه الدول الأفقر عالميا مع ارتفاع نسبة الأمية، حيث تقع أربع هي النيجر ومالي وتشاد وموريتانيا في قائمة 15 دولة الأفقر في العالم، وتفاقمت ظاهرة الهجرة غير الشرعية خاصة إلى الجزائر حيث يقدر الهلال الأحمر الجزائري المهاجرون من هذه الدول إلى الجزائر بأكثر من 100 ألف مهاجر سنة 2018.

أسباب الهجرة غير الشرعية:

بدأت بوادر الهجرة غير الشرعية منذ غلق الحدود الدولية وإتباع سياسة محاربة الهجرة من الدول الأوروبية، إضافة إلى الإجراءات المصاحبة لهذه السياسة مما أدى إلى ظهور مهاجرين بدون وثائق، ثم متسللين عبر الحدود بطريقة سرية، وتكمن أسباب الهجرة غير الشرعية في:

- أسباب اقتصادية من بلدان فقيرة إلى بلدان غنية.
- أسباب اجتماعية كتحقيق المكانة الاجتماعية.
- أسباب سياسية وأمنية كالهروب من النزاعات والحروب الأهلية، وانعدام حرية التعبير والديمقراطية والأمن.

نتائج الدراسة:

نستنج من خلال دراستنا التي قمنا بها والمقابلات التي أجريناها مع المهاجرين الأفارقة في غرداية أن:

- المهاجر الإفريقي يحافظ على هويته رغم التحديات الكبيرة.
- اللغة والدين الإسلامي عاملان مهمان في عملية المثاقفة مع المجتمع المحلي.
- السكن على الهامش وعدم شرعية المكوث في الجزائر من عوامل ضعف عملية التواصل وبالتالي المثاقفة.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

- المجتمع المحلي لا يساعد في اندماج المهاجر الإفريقي بسبب الحيطة والحذر وأحيانا العنصرية والاستعلاء.
- التواصل بين المهاجر الإفريقي والمجتمع المحلي لا يتعدى إطار العمل.
- النظرة الدونية للمهاجر الإفريقي من المجتمع المحلي أدت إلى خوف المهاجر من التواصل معه وما يترتب عن ذلك من أثار ومشاكل.
- الإجراءات الأمنية المشددة أدت بالمهاجر الإفريقي إلى التقوقع والانعزال الثقافي والاجتماعي.

تحليل النتائج:

المهاجر الإفريقي في مدينة غرداية بين العبوروالاستقرار:

ينطلق المهاجر الإفريقي من قريته عازما على الوصول إلى مكان يلبي حاجياته الاجتماعية والاقتصادية، وهاربا من نيران الحروب والفقر والنزاعات العرقية والدينية هذا المكان كان قد وضعه في مخيلته قبل الهجرة من خلال الأخبار التي ترده من هناك وهناك وعبر اتصالات ممن سبقوه إلى هناك، حيث يتجمع أغلب المهاجرين من الدول الإفريقية في منطقتي أغاديس بالنيجر، وغاو بمالي في انتظار فرصة للتسلل إلى الجزائر، وتعمل شبكات التهريب بالتنسيق مع مهربين متخصصين من الجانب الأخر للحدود الجزائرية، فيؤمنون معابر التسلل، ويرصدون تحركات الجيش وحرس الحدود الجزائرية، ويأخذ صاحب السيارة من 300 إلى 100 أورو عن كل مهاجر، ليدفع منها رشاوي ورسوم على طول مسار الرحلة للبدو أو مجموعات الأزواد المسلحة، يقول **عثمان** من مالي 32 سنة: نخفي وثائقنا لتفادي دمغها من طرف المتمردين، فنسلمها للسائق لقاء مبلغ إضافي ليخفيها. ويضيف **ماني** في هذا الصدد: نخاف من الوقوع في أيدي المتمردين الذين يقزمزن بأسرنا للعمل عندهم كعبيد، أو يجبرنا المهربين على السير مسافات طويلة دون ماء أو طعام، ويهلك بعضنا عطشا وجوعا، وعند الخطر يتخلوا عنا خوفا من الجيش وحراس الحدود الجزائريين. وتكون تينزواتين التابعة لولاية تمنراست أول محطة للمهاجرين الأفارقة في الجزائر، فيجدون أنفسهم أحرارا في التحرك والتنقل عبر وسائل النقل إلى تمنراست، وهناك يجدون الكثير منهم في أحياء قائمة تعج بالمهاجرين، وبعد أسابيع أو شهور ينطلقون إلى المدن الصحراوية مثل أدرار وورقلة وغرداية وواد سوف ومنها ينتشرون عبر الوطن.، وحسب أغلب المبحوثين فإن المقصد الأول لكل مهاجر هو الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط، إلا أن الظروف والإجراءات المشددة التي تصاحب الرحلة تجعل من بعض المهاجرين يغيرون خططهم وتتحول خطة العبور إلى

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

استقرار في الجزائر حيث أغلبهم وجد ضالته وهي تلبية حاجياته الاجتماعية والمالية لإعالة أسرته في قريته. ويبقى المهاجرون المرشحون للعبور هم في الغالب من ذوي التكوين الدراسي الأفضل، وهم من الكامرون ومالي، ويتراوح سنهم ما بين 25 إلى 30 سنة، فهم شباب ولديهم اتصال يومي مع أقرباهم وأصدقائهم ممن تمكنوا من العبور، مثل **بوبكر** من مالي الذي يبلغ من العمر 28 سنة مستوى ثانوي، دخل إلى الجزائر عن طريق الهجرة السرية عن طريق تمنراست ثم ورقلة ثم غرداية ثم وهران وعاد إلى غرداية منذ أيام، حيث لم يسعفه الحظ في العبور إلى أوروبا وهو يمكث في غرداية منذ سنة 2017، وحاول مرارا تكرارا ركوب قوارب الموت، يقول: "**ركبنا مرتين في القوارب باتجاه اسبانيا لكن في المرة الأولى كانت هناك رياح قوية فعدنا أدراجنا بمجرد دخولنا للبحر، أما المرة الثانية فقد كشفتنا عناصر الأمن وقبضت على معظم أصدقائي و أنا هربت وعدت مباشرة إلى غرداية حتى لا يكشف أمري، وقد ذهبت كل أموالي التي جمعتها مع من قبضوا عليهم لذا يجب علي أن أعمل لجمع مبلغا آخر لمواصلة الرحلة والمحاولة مرة أخرى إذا سمحت الظروف بذلك**".

السكن:

لقد أدت الإجراءات الصارمة، والمراقبة المستمرة للجهات الأمنية إلى تحول بلد مثل الجزائر من بلد عبور إلى بلد استقرار للمهاجرين الأفارقة، فاستقر معظمهم في القرى الصغيرة وعلى هامش المدن وفي المزارع بعيدا عن أعين الجهات الأمنية، حيث يقومون بأعمال البناء والزراعة، ومن هذه الأماكن التي يعيش فيها المهاجرون الأفارقة حي توزوز بمدينة غرداية، والذي اخترناه مكانا لدراستنا، فهو حي هامشي على أطراف المدينة، سكني وفلاحي في وسط وادي توزوز الذي يصب في وادي ميزاب، يسكنه خليط من الإباضيين والعرب، وبعد أحداث الفتنة التي ألمت بغرداية عام 2013 هجره كثير من السكان لأنه منطقة تماس بين حي الغابة وبلدية ضاية بن ضحوة، وبعد هجرة أغلب السكان أصبح مفتوحا للكراء، فعمره المهاجرون الأفارقة وأجروا معظم المنازل الموجودة في هذا الحي وجاوروا السكان المحليين الذين عادوا لسكناتهم بعد الهدوء الذي ساد المنطقة أواخر 2014. ويتراوح عدد سكان المنزل الواحد من 5 إلى 20 فردا. **أحمد** من مالي عمره 45 سنة أب لسبعة أطفال تركهم في قريته، فسألناه عن عمله هذا؟ وهل هي نوبته في إعداد الطعام فقال لنا: **أنا دائما الذي أطهو للجماعة و أقوم بغسل الأواني، وأشتري لوازم المنزل، و أقضي حاجيات أصدقائي في غيابهم فهم يخرجون صباحا للعمل، و أقوم بإعداد الطعام لزملائي فنحن 18 شخصا نسكن في هذا المنزل، وهناك صندوق يساهم فيه الجميع بمبلغ معين شهريا،**

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

وتكون المساهمة واجبة ومفروضة على الجميع ومن هذا الصندوق يتم تسديد الفواتير والإيجاروشراء المؤونة والباقي آخذه أنا، وهي أجرتي.

في منزل آخر يعيش حوالي 15 شخصا أخذ **اسماعيل** غرفة في المنزل وجعل منها مطعما ومقهى يبيع فيه وجبات لأصدقائه، حيث يستقبل طلباتهم صباحا قبل الخروج أو مساءا عند العودة من العمل لوجبة العشاء، كما أنه يقوم بطلبات زملائه في المقهى من شاي أو قهوة أو مشروبات خاصة في سهراتهم، فهم لا يخرجون إلى المقاهي العامة إلا نادرا لخوفهم من رجال الأمن أولا، والإحساس بالعنصرية في المعاملة ثانيا. بالمقابل هناك من يخرج دائما ويذهب إلى المقهى مثل **علي وأصدقائه الثلاثة**، بل ويعد من الزبائن الدائمين حسب صاحب المقهى **عبد القادر** الذي قال لنا أنهم أصبحوا أصدقاء وزبائن دائمين وطيبين وخلوقين ومسالمين، وهو شاب من مالي عمره 28 سنة، حيث يسكن الآن في منزل بحي تزوز منذ 2018 وقد سكن قبلها في مزرعة في منطقة فلاحية تسمى حاسي لفحل تبعد عن مدينة غرداية بحوالي 140 كلم، ومنذ أن سكن في حي تزوز وهو يحس أنه يسكن في مكان آمن ويعيش حياة اجتماعية مقبولة حسب تعبيره، فهو يعمل نهارا في دكان لبيع لوازم الدراجات والدراجات النارية في وسط المدينة غرداية، وهو معروف من قبل الجميع ومحترم ويعامله من يعرفهم كأنه منهم وقد تعلم اللغة العربية وأصبح يتقنها وهذا ما ساعده على ربط علاقات مع بعض الشباب في حي تزوز وفي بلدية ضاية بن ضحوة التي هي قريبة من الحي الذي يسكنه، حيث كان التواصل مع علي سهلا نظرا لمعرفته العربية من جهة ومعرفة بعض العادات والتقاليد وطبيعة السكان المحليين من جهة أخرى، إضافة إلى شيء مهم قال أنه يعتز به وهو الثقة المطلقة التي يحظى بها عند صاحب المحل الذي يعمل فيه وعند الزبائن .

اللغة والعمل:

تعد اللغة عند المهاجر الإفريقي موردا هاما للتواصل من أجل العمل، فهما بعدان مهمان في عملية المثاقفة، حيث أن أغلب المبحوثين الذين يعرفون اللغة يكونون أكثر تواصلا مع المجتمع، وأوفر حظا في إيجاد عمل والاستقرار فيه لأكبر مدة معينة تزيد عن السنتين، فاللغة هي جوهر الثقافة والهوية في حياة الإنسان، فيمكن لنا عبرها أن نتواصل مع الآخرين وننال رضاهم ونتبادل معهم أشكال التواصل لضمان مساحة الاعتراف بوجودنا، إن تعلم لغة المجتمع المحلي هي مسؤولية وحق في الاعتراف كون المهاجرين في هذه الحالة أقلية، "فالاعتراف يشمل فعلا على الأقل مرحلتين، فما نطلبه من الآخرين أولا أن يعترفوا بوجودنا وثانيا تأكيد قيمتنا وهذا هو الجانب الأوسع"(تزفيتان، ت، 2000،ص130)، يتمنى المهاجر الإفريقي في الجزائر أو غيره في بلدان العالم

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

أن يعترف بهم ليس كوجود إحصائي ديموغرافي مهني وإنما ككيانات ثقافية متعددة ومتنوعة، فلا تكفي التقديرات المهنية والعلمية إن لم تتبعها اعترافات قيمية تسمح بالعيش المشترك، وخلق قيم ومعايير ومساحات ثقافية مشتركة، فاللغة مسألة جد معقدة في حياة المهاجر، فهو يراوح بين دوره كفاعل اجتماعي بداخل الثقافة واللغة وفي نفس الوقت يحترف مهنته الاجتماعية كعون يردد لغة وثقافة الآخرين، فمسألة الاندماج والتكيف ليست بالمسألة السهلة، لذلك نرى مهاجرين يركزون على اللغة للعمل والمهنة وينفصلون عنها ثقافيا ويتحملون ذلك الصراع اللغوي المزدوج، وهذا ما تمت ملاحظته على أغلب المبحوثين. ينتقلون جماعات قليلة العدد وعلى رأسهم الأكثر خبرة واحترافا، ويصطفون عند مفترق الطرق وسط المدينة وحي بلغنم وحي توزوز أو عند موقف الحافلات في الحي الذي يسكنون فيه يعرضون خدماتهم على المقاولين الصغار والخواص من مالكي المنازل في طور الانجاز، ويتم الاتفاق غالبا بلغة فرنسية بسيطة أو الإشارة أو بعض الكلمات العربية التي يحفظها المهاجر من أجل العمل فحياتهم تتلخص في العمل والصمت حسب قول أحدهم.

العلاقة مع المجتمع المحلي:

تعتبر العلاقة بين المهاجرين الأفارقة والمجتمع المحلي علاقة مصالح بالدرجة الأولى مبنية على الخوف والحذر من الطرفين، فالمهاجرون يتحاشون التجوال الفردي لشعورهم بالعزلة والخوف ولا يردون على الاستفزازات التي يتعرضون لها يوميا من بعض الشباب والصغار، فهم يعرفون أنهم لا يجب عليهم إثارة المشاكل مع المجتمع المحلي خوفا من الطرد أو أن تقبض عليهم الشرطة فيتعرضون للمساءلة حول وضعيتهم القانونية، وبالتالي الحبس أو الترحيل إلى حدود دولتهم، **حسن** من مالي 30 سنة يعمل في مجال الفلاحة: لا نستطيع أن نتجول أو نحتك بالسكان حتى لا نقع في المشاكل وتقبض علينا الشرطة . يتعرضون للسرقة أحيانا وللضرب والتمييز، خاصة في وسائل النقل العام وبعض التجار الانتهازيين الذين يزيدون في الثمن عندما يكون المشتري من المهاجرين، يقول **ممادو** من السنيغال 28 سنة " **يرفض أصحاب الحافلات السماح لنا بالركوب مع المواطنين الذين ينزعجون من وجودنا، فنتفادى وسائل النقل أحيانا ونمشي لمسافات طويلة، ومنا من اشترى دراجة، فنحن لا نريد المشاكل، الأسبوع الماضي جرت أحداث في الحي الذي أسكنه، حيث اتهموا أحدنا بالسرقة فجاءت الشرطة وأخذت الكثير منا لا نعرف أين أخذوهم ربما رحلوهم ولحسن حظنا لم نكن هناك** ". وتغض الشرطة الطرف على هؤلاء بإيعاز من المقاولين والفلاحين وأرباب العمل إلا في الحالات الحرجة، ويقول **عبد الله** من النيجر: **أحيانا**

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

يقوم السكان وأصحاب العمل بعدم التبليغ عنا رغم البحث المكثف من قبل رجال الأمن. ويضيف **محمد** صاحب مزرعة ويعمل عنده ثلاثة أفارقة من بوركينافاسو ومالي: **نحتاج هؤلاء في أعمالنا، فلا نجد غيرهم، وعندما تقوم الدولة بترحيلهم تتوقف أعمالنا كليا، لذا نطلب من السلطات السماح لهم بالبقاء.** عندما أعطت وزارة الداخلية للولاة حرية التعامل مع المهاجرين الموجودين على مستوى ولاياتهم تسامح بعض الولاة معهم وتركهم رغم عدم شرعية وجودهم من أجل التنمية الاقتصادية. ونجد **سعيد** الذي أعرفه أنا منذ سنين يعمل إسكافي من النيجر عمره 35 سنة موجود في غرداية منذ 2006 يسكن في الحي، وهو يذهب إلى النيجر كل مرة تتاح له الفرصة ويعود، فهو قد وجد ضالته في غرداية، ويقول إنه استطاع أن يتعلم اللغة العربية الدارجة الجزائرية ويعرف كل صغيرة وكبيرة تجري في الحي وفي بلدية ضاية بن ضحوة حيث يعمل، فهو كثير الحركة ويتكلم مع الجميع حتى يظنه من يراه ولا يعرفه أنه من أدرار أو حتى من غرداية. فقلة قليلة ممن ذكرناهم يحاولون الاندماج بحكم عملهم، إضافة إلى ذلك فإن المهاجرين الأفارقة يتآزرون فيما بينهم ويسكنون مع بعضهم ولا يحتكون مع السكان خوفا وحذرا وإحساسا بالدونية أحيانا مما يجعلهم يميلون إلى أصحاب بشرتهم الذين يجدونهم أقرب إليهم من أي جنسية كانوا حتى من الجزائريين مثل **شعبان قديري** الذي يسكن في حي توزوز وهو جزائري من غرداية يبلغ من العمر 28 سنة ومتخرج من الجامعة وله علاقات كثيرة مع الأفارقة بحكم طيبته ولون بشرته الذي يشبه كثيرا لون بشرتهم، سألنا شعبان عن علاقته بالأفارقة فأجابنا بأنه يسكن بجوارهم وله علاقات مع عدة شباب منهم ومن جنسيات مختلفة وقال لنا بأن أغلب الجنسيات التي تميل إلى الجزائريين هم من الماليين لأن لهم تقاليد وعادات وقيم تشبهنا، فهم يجدون في الجزائر مالي الثانية، خاصة عندما يسكنون في القرى التي تحافظ على موروثها وتقاليدها فهي شبيهة بقراهم التي جاؤوا منها، ويضيف شعبان أن الأفارقة لا يستطيعون الاندماج في المجتمع المحلي بسبب معاملة الناس لهم وخوفهم من إثارة المشاكل لعدم شرعية وجودهم في الجزائر، وهم يخافون من الترحيل، وتوجد عائلات تسكن الحي وهي قديمة منذ سنوات استطاعت أن تبني علاقات مع الجيران الجزائريين لكن محدودة. يتضامن أغلب السكان مع المهاجرين في المناسبات، ويشعرون بمعاناتهم، ويخفونهم عن أعين الشرطة عندما تكون المداهمات من حين لأخر، فهم يحتاجونهم في العمل أولا، ولأنهم مسالمون ويعملون في صمت ثانيا، ولا يضرون أحد.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

استراتيجية الهوية والمثاقفة عند المهاجر الإفريقي:

يجد المهاجر الإفريقي نفسه منعزلا عن الآخرين من المجتمع المحلي لعدة أسباب، فالهجرة تحمل في طياتها خطر الضياع، فالفروق بين الثقافتين تؤدي إلى هروب المهاجر إلى جذوره الذي يجد فيها ملجأ يختبئ فيه من الضياع والقلق وعدم الانتماء. فيحاول أن يتكيف ويتأقلم مع الوضع الجديد باتباع استراتيجيات عديدة من أجل تجنب الضياع، منها استراتيجية الصراع. (Camilleri,C ,1990,P108) لأنها تناسب وضعية أغلب المهاجرين الأفارقة في الجزائر حسب الملاحظات والمقابلات التي أجريناها، فالمهاجر الإفريقي يعيش نوعا من الصراع بين قيم ومعايير ثقافته من جهة وقيم ومعايير ثقافة المجتمع الجزائري من جهة أخرى، ولتجنب هذا الصراع يختار إما الانسجام البسيط المبني على التخلي عن الجانب البراغماتي والتمسك بالجانب الأنطولوجي، مما يعني التمسك بثقافته الأم والعيش وفق معايير وقيم هذه الثقافة تماما كما لم يهاجر، وبالتالي لن يندمج مع المجتمع المضيف، أو سيكون اندماجه بسيطا في إطار المصلحة والعمل فهو مضطر للتعامل مع المجتمع المحلي لقضاء حاجياته، وهو حال أغلب المهاجرون الأفارقة في الجزائر، منهم **مادي مباي** من مالي 34 سنة، متزوج وله 05 أولاد، وله تكوين بسيط في مجال الميكانيك، هدفه من الهجرة هو العمل والحصول على المال للعودة إلى بلده وإقامة مشروع صغير، ولا يستطيع العبور إلى الضفة الأخرى لأن لديه عائلة يعيلها ويريد العودة إليها، فمشروعه المكوث في غرداية سنتين أو ثلاث حسب الظروف، وهو من الذين لا يختلطون بالمجتمع المحلي فيقول" **أنا لا أعرف إلا بعض الكلمات بالعربية التي تساعدني في الحصول على العمل، والتعامل مع أصحاب المحلات للضرورة، ولا أخرج كثيرا، فلا أريد أن أتغير مثل بعض الشباب فلدي عائلة سأعود إليها**". وهذا الانسجام البسيط يؤدي إلى الانعزال والتقوقع الثقافي، مع الرغبة في المحافظة على الثقافة والهوية الأصلية، وهي عملية مضادة للمثاقفة، لأن هذا الانغلاق مفروض أحيانا على المهاجر وليس اختياري، فيؤدي هذا التمييز العنصري المفروض إلى التهميش. أو يختار الانسجام المركب، وهذه فئة قليلة جدا حيث يتمسكون بثقافتهم الأصلية لكن في الوقت نفسه يحاولون الاندماج وتبني ثقافة المجتمع الجزائري قدر المستطاع، ويحاولون إضفاء نوع من التوفيق أو التوليف بين الوظيفة الأنطولوجية من جهة والوظيفة البراغماتية للهوية من جهة أخرى، وهذا ما يمثل الجانب الإيجابي في عملية المثاقفة، فهي تحتاج إلى وعي وقدرات ثقافية ودرجة عالية من الانفتاح في الشخصية والثقة بالنفس والقدرة المعرفية والنفسية على القيام بهذا التوليف أو التوفيق بين الثقافتين، وهناك عوامل محددة لاختيار هذه الاستراتيجية منها ما يتعلق بالخصائص الشخصية

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

للفرد المهاجر كإتقانه لغة المجتمع المضيف وموقفه المبدئي من ثقافته ودرجة انفتاحه على الآخر المختلف عنه وتقبله للتعددية الثقافية والتسامح، بالإضافة إلى مستواه الثقافي والتعليمي وبيئته النفسية والعائلية والاجتماعية وأسباب هجرته وطموحه ووضعه الاقتصادي، ومن هذه العينة نجد **عمر** من مالي يبلغ من العمر 26 سنة، أعزب، ذو مستوى تعليمي ثانوي، هاجر إلى مدينة غرداية بعد أن دعاه أحد أقاربه قبل أن يهاجر إلى إيطاليا، كانت هجرته من أجل العمل والتخفيف من حدة الفقر الذي تعيشه عائلته، لم يعان من الظلم الاجتماعي والتمييز العنصري في غرداية كالبقية، هو يعمل الآن في ورشة غسل وتشحيم السيارات، ويقول أن تعامل الأشخاص الذين عمل عندهم خاصة صاحب الورشة والمتعاملين معه في هذا المجال كان جيدا، كما أن معاملة أجهزة الدولة الجزائرية مقبولة، ويتلقون المساعدة من المجتمع المحلي ويعالجون في المستشفيات العامة، حيث يقول:"**لقد ساعدني أصدقائي كثيرا في تعلم اللغة العربية من أجل التواصل مع الزبائن، فاكتسبت شهرة في عملي بسبب معاملتي للزبائن، وأنا أرى أن المجتمع المحلي مجتمع مسالم ومحب للغير، فأجد منهم الاحترام والتضامن، كما أنني منذ أن خرجت من بلدي وضعت نصب عيني أني سفير بلدي في البلاد التي أذهب إليها، وبالفعل وجدت ذلك في معاملتي للناس ومعاملتهم لي، فالثقافة الجزائرية مبنية على التسامح والحب والتعددية وقبول الآخر الذي لا يفتعل المشاكل، فهناك عادات وتقاليد هنا شبيهة بالتي عندنا في مالي كالاعتناء بالضيف واحترام كبير السن والتقيد بتعاليم الدين الإسلامي**". كما ترتبط هذه العوامل بخصائص المجتمع المضيف كتكوينه الاجتماعي والاقتصادي، والاتجاه الإيديولوجي السائد فيه، ودرجة انفتاح أفراده على الثقافات الأجنبية، وسياسة الهجرة وقوانينها، وهناك خصائص المجتمع الأصلي كالبنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والسمات الثقافية ودرجة انفتاحه على الثقافات الأخرى وقابلية التطور والإيديولوجيات والعادات والتقاليد(Berry, J, 2005, P702) .

خاتمة

حاولنا في دراستنا هذه تقديم لمحة بسيطة عن موضوع الحياة الثقافية للمهاجر الإفريقي في الجزائر والآثار التي ترتبت على هويته، وقد ركزنا على صعوبات التكيف في المجتمع الجديد في ظل الفروق الموجودة بين الثقافات والتي تترك أثرا في مشاعر الانتماء، والحنين إلى الموطن الأصلي، وفي هذا السياق نستطيع القول أن المهاجر الإفريقي لم يستطع الاندماج والتكيف في المجتمع الجزائري لعدة عوامل أهمها اللغة والعنصرية والخوف والحذر الذي يلف حياة المهاجر الإفريقي الغير شرعي في الجزائر، إضافة إلى الاستراتيجية التي رسمها المهاجر عند مغادرته لوطنه وهي عبوره إلى الضفة الأخرى من البحر، وما الجزائر إلا محطة من محطات الهجرة التي لا يجب المكوث فيها، لكن الإجراءات المشددة جعلته يغير هذه الخطة،

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

ويحاول التكيف مع الوضع الجديد والاستقرار في الجزائر أو العودة إلى الوطن، وهذا ما جعل المهاجر الإفريقي يحاول أن يوفق بين حلمه والمستجدات الموجودة على أرض الواقع وبالتالي التأثير على استراتيجية المثاقفة والهوية التي جعلت من المهاجر يحاول تجنب الصراع الذي لم يكن يتوقعه في هذا المكان والزمان، فهو نفسيا لم يكن مهيأ للعيش في الجزائر لأنه يرى فيها إفريقيا ولا تختلف القرية التي يعيش فيها عن القرية التي أتي منها إلا في سكانها وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم ووجود العمل الذي أتى من أجله في المقام الأول كمؤنس له وتبريرا لفشله في الخطة التي رسمها هو وعائلته للانتقال من الفقر والمركز الاجتماعي الوضيع إلى الحياة الرغيدة والمركز الاجتماعي المقبول الذي حلم به عند انطلاقه من قريته.

****

المراجع:

1 - بدوي، أحمد زكي، (1982)، **معجم المصطلحات الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت.

2 - تزفيتان تودروف، (2000)، **الحياة المشتركة**، تر: منذر العياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب .

3 - دوني .ك،(2002). **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، تر: قاسم مقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

4 - وطفة، علي أسعد، (فيفري 2010)، **الهويات الأصولية في زمن التصادم**، المعرفة السورية، وزارة الثقافة السورية، العدد 557.

5 - عبد القادر خليفة، (2015)، **مهاجرو دول الساحل في مدن الصحراء الجزائرية من مسار عبور إلى فضاء استقرار- مدينة ورقلة نموذجا**، مجلة انسانيات العدد 69-70، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهران، الجزائر.

6 - Camilleri. C ,(1990)., **Identité et gestion de la disparité culturelle**, Essai d'une typologie. Stratégies identitaires , Paris.

7 - Berry. J.M,(2005), **Acculturation: Living successfully in two cultures**. International Journal of Intercultural Relations 29 .

8 - Gérald Gaillard, (1997)**, Dictionary of anthropologists**, translated bay James bowman, Routledge , london and newyork ,.

9-Ampson Hagan, (2017), **Labor and Living As A Black Migrant in saharaton**, University of North Carolina at Chapel Hill Graduate School.

10 - A , Mucchielli, (1986) **, L'identité** , QSJ , Paris , P.U.F .

11 – Bureau international du travail, (2004) , **Une Approche equitable pour les Travailleures migrants dans une économie mondialisée**, Conférence internationale du BIT 92em sesion, Rapport n°6, Genéve.